

البعد المعرفي الإدراكي من خلال التواصل اللغوي و غير اللغوي. "قصة سيدنا يوسف أنموذجا"

الأستاذة: عميري زهرة.
جامعة أمحمد بوقرة بومرداس.

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وعلمه البيان وجعل آداته اللسان، إلى جانب آليات أخرى مساعدة تكون إلى جانب التلغظ أي الجوانب اللغوية. وأحيانا أخرى تكون مصدرا أساسيا في التواصل غير اللغوي، حيث أشار الكاتب حسن رجب في مجلة الداعي⁽¹⁾ (دراسات إسلامية) في مقال له بعنوان "أدب الإسلام وعلم الاتصال" إلى رأي الكاتب LIN NAM مبينا أن الاتصال غير اللفظي عامل هام في تفسير الرسالة اللفظية إذا كان مصاحبا لها، وإذا تناقض مضمون الرسالة اللفظية مع مضمون الرسالة غير اللفظية المصاحبة فإن المستقبل يميل إلى تصديق الرسالة غير اللفظية⁽²⁾. ولقد تحدث حول هذا المنحنى علماء وأدباء كثر كالجاحظ وابن المقفع والأمدى وابن جني، الفخر الرازي وغيرهم من خلال حديثهم عن لغة الإشارة.

كما بدأ مع خمسينات هذا القرن الاهتمام بفرع جديد من فروع الاتصال الإنساني، وهو الاتصال غير اللفظي، ويعود الفضل في إثرائه إلى علماء علم الأجناس (الأنثروبولوجيا)، والباحثين في علم النفس وعلم النفس العلاجي والعصبي. نحاول في هذه المقاربة التركيز على عنصر التمثلات الذهنية وبعدها الإدراكي بطرق علمية من خلال آليات التشغيل التسجيلية في الدماغ، بتوضيح سبل الاتصال اللغوية وغير اللغوية. ولا بأس أن نشير في هذا المقام إلى أطروحة بوتنام المتمثلة في الاكتشاف القائم على أن التفكير بالقطط Cats، يعيد إلى الذهن حرف « C » إن هذا الاكتشاف قد تكون له صلة فيما يعنيه بيتر أو ما يشير إليه أو ما يفكر به عندما يستعمل مصطلح Cats⁽³⁾

¹- ينظر مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند دراسات اسلامية. 2010 ع4-5 ص2

² ينظر -P37-80- Lin nam the study of human communication N.Y 1973.

³- ينظر آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل ترا عدنان حسن/ نعوم تشومسكي دار الحوار ط=1. سنة 2009.

وهذا ما يوضح ارتباط عنصر التوصيل بعملية الاسترجاع بمجرد رؤية القطط، والتلفظ بها من خلال ما يسمى بالإدراك البصري، ذلك الجدل الذي شارك فيه بوتنام حول الخواص الإحالية لـ Cat ، فلو تبين أن القطط هي روبوتات يتم التحكم بها من المريخ. افترض أنه بعد أن يتوصل بيتر إلى تصديق ذلك فإن دماغه يشكل أولا « C » عندما يُحيل إلى القطط أو يفكر بها.

فالذهن البشري يضم مدركات مختلفة واردة إليه من العالم الخارجي، تكتسب تمثلات معينة في الذهن سواء أكانت مجردة أم غير مجردة. ومن خلال ذلك كله نصل إلى مرحلة التصديق أو التصور كما بينها صاحب كتاب ضوابط المعرفة. عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، من خلال الحديث عن طرق الاستدلال. أشار الكاتب في هذا الإطار إلى الأبعاد التداولية المعرفية لكل من التصور والتصديق لارتباطهما بعنصر الإدراك. فالتصور عنده: هو إدراك أي مفرد من مفردات الأشياء والمعاني⁽¹⁾.

والتصديق: هو إدراك النسبة بين مفردين فأكثر وهذه النسبة إما موجبة وإما سالبة، مثبتة أو منفية.⁽²⁾ فكيف يمكننا أن نصدر حكما فكريا ما؟

إذا بقينا في حدود إدراك المفردات المثبتة دون أن ندرك في الذهن العلاقات بينها، فإننا لا نزال في حدود الإدراك التصوري، أما إذا أدركنا علاقة ما (نسبة)، فإننا حينئذ ننتقل من الإدراك التصوري الذي كان وحده إلى الإدراك التصديقي معه. وكل إدراك تصديقي لا ينفك عن إدراكات تصورية ضمنه سابقة له في حصول الإدراك.⁽³⁾

انطلاقا من الإجابة عن السؤال الخاص بإبراز كيفية إصدارنا الأحكام الفكرية، من خلال ربط الادراكات التصورية بالادراكات التصديقية، نحاول استنطاق طرق التواصل اللغوية وغير اللغوية من خلال قصة سيدنا يوسف عليه السلام بالإجابة عن عدة إشكاليات:

■ الروبوت : الإنسان الآلي الآلات الذكية.

¹ - ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال والمناظرة. عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني دار القلم دمشق.

ط.8. 2007، ص18

² - المرجع نفسه ص 18

³ - يُنظر المرجع نفسه ص 18

▪ طرق الإدراك المعرفي من خلال التعرف على الوجوه عن طريق استرجاع يوسف عليه السلام لوجوه إخوته والتعرف عليهم، رغم الفارق الزمني منذ أن تركوه ليأخذ بعض السيارة، إلى أن أصبح سيديا و مسؤولا عن خزانة مصر في أسرة ملكية متميزة أحاطه الله تعالى بها. قال تعالى « قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابات الجبّ يلتقطه بعض السيارة» الآية 10 سورة يوسف، وفي قوله تعالى أيضا: « وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون» الآية 19 سورة يوسف.

▪ طرق الإدراك المعرفي الخاصة بمبشرات قدوم سيدنا يوسف عليه السلام، من خلال حاسة الشم عند سيدنا يعقوب التي تمثل بدورها طرق التمثل الذهني المعرفي لخاصية الاسترجاع في الدماغ والتي تمثل طرق التواصل غير اللغوية. وهذا ما أشارت إليه نظرية فودور المعرفية. لقد أظهرت الدراسات الحديثة للنشاط الكهربائي للدماغ (القدرات الكاملة المرتبطة بالحدث ERP) استجابات متميزة للتعبير الصانبة والمخالفة مثل:

1 - توقعات معاني الكلمات.

2 - قواعد تركيب العبارة.

3- الشروط الموضوعية على الانتقال.

هذه النتائج مرتبطة باستعمالات اللغة وعلاقتها بالبعد الإدراكي، في هذا الإطار يمكننا أيضا استنتاج البعد المفاهيمي والفروق اللغوية بين استعمالات لفظ " ريح" و "رياح" في القرآن الكريم، إلى جانب دراسة الأبعاد المقصدية في قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: « قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون» الآية 94، وهذا ما يؤدي بنا إلى إبراز عنصر الملاعمة التداولية من خلال:

1 - إبراز عنصر الملاعمة التداولية من خلال الاستعمالات اللغوية، والفروق اللغوية بين المفرد والجمع في لفظتي ريح ورياح.

2- علاقة الرؤية بلفظ أجد الواردة في الآية بلفظ ريح يوسف، وهو عنصر دال على حاسة الشم باعتبارها وسيلة من وسائل الاتصال والتعرف.

هناك من العلماء من يرى أن الرياح تكون للخير و"ريح" تكون للشر نحو سورة النمل " أمنّ يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته" الآية 63

وقد تكون لفظ ريح دلالة "الخير" أيضا في سورة سبأ في قوله تعالى « ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر» الآية 19 .

وهذا ما ورد أيضا في الحديث النبوي وفي كلام العرب، فقد جاءت لفظة الريح والرياح حاملة للدلالاتين معا، الاستبشار والتنفير، وهما دالتين مختلفتين أخذتا صورتين تمثليتين في الذهن رغم أن الملفوظ الخاص بالصفة يمثل الجذر المعجمي نفسه في مادة (ريح). إذا رجعنا إلى الآية « أتي لأجد ريح يوسف» نلاحظ وجود أداتين للتوكيد (إني ولام التوكيد)، لأجد (وهو أسلوب خبري إنكاري لأن يعقوب عليه السلام في موضع الرد و التحدي لأخوة يوسف و كل من أنكر عودة يوسف عليه السلام و جعله مجال غرابة و استحالة.

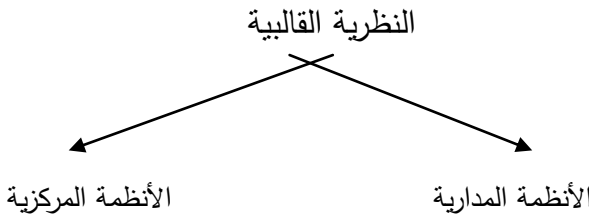
الآية « قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم » الآية 95 والآية « قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم» الآية 83

هذا ما يؤكد ارتباط لفظ الريح بالمدلول الخيري لأنه موقف البشري وحصصه الحق أمام الباطل.

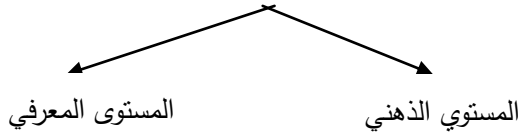
كيف يمكننا ربط لفظ "وجد" بعنصر الإدراك؟

الفعل وجد ينتمي إلى زمرة أفعال القلوب و التحويل المتعددة إلى مفعولين، المفعول الأول "ريح" و المفعول الثاني "يوسف" "المحتمل" جاء في مقام الإضافة، فلا يمكن فصل الريح عن يوسف لأن المضاف إليه يشكلان كلمة واحدة وإن كان اللفظ مركبا، ومنه قد شكلت لفظة "الريح" بؤرة العملية الاتصالية بالنسبة ليوسف عليه السلام باعتباره المحور الأساسي في التواصل. وأفعال القلوب كما رصدها النحاة تتمثل في: رأى، وجد، علم....وتسمى أفعال اليقين وفي هذه الحالة تكون رؤية البصيرة فقط كأن أقول « رأيت الامتحان سهلاً»، إلا أن دلالة الفعل "وجد" خرجت من زمرة أفعال القلوب لأن المعنى استوى بعنصر الإضافة في التركيب، فارتقى الفعل "وجد" إلى مصاف الرؤية الحقيقية بالقوة رغم أن سيدنا يعقوب كان ضريرا، لأن المعنى التصديقي، تجلى بوضوح في الآية الكريمة « والله اعلم». ومعلوم أن يعقوب عليه السلام ابيضت عيناه من الحزن وغدا ضريرا، لكن المضمن المتمثل في سياق التداول عكس صوراً تصديقية، إدراكية من خلال التمثل الذهني لصورة يوسف في ذهن يعقوب عليه السلام، من خلال حاسة الشم التي تمثل بدورها مركزا اتصاليا في الدماغ. وهذا ما أشارت إليه نظرية فودور المعرفية. فقد جاءت نظرية الملاعمة إلى ضوء النظرية القالبية لفودور ونظرية الفضاءات

الذهنية لفوكوني. Modularité de l'esprit, espace mentaux.



كما أن نظرية الملاعبة قامت بدورها انطلاقا من مستويين هما: (1)



و الأنظمة المدارية تشتمل على ستة قوالب :

- 1- القالب الحسي ORAS.
 - 2- القالب الإدراكي.
 - 3- القالب السمعي البصري.
 - 4- القالب الخاص اللمس.
 - 5- القالب الخاص بالشم ORAS.
 - 6- القالب الخاص باللغة.
- تتكون الأنساق الدلالية غير اللفظية حسب ما أشار إليه حنون مبارك
- 1- حركات الأجسام وأوضاع الجسد.
 - 2- الإشارات الدالة على القرب المتعلقة باستعمال الإنسان للمكان.
 - 3- الأنساق المرتبطة بما هو لمسي وشمي وذوقي وبصري وسمعي.

¹ -modularité de l'esprit. FODOR.J.A (1986) paris ed de minuit. P67-68

4- الشيء أي الأنساق القائمة على ما يستعمله الإنسان كالثياب والحلي والزخارف.⁽¹⁾

وفي هذا الإطار يمكننا الإشارة إلى صواع الملك فلقد مثل بؤرة الجديد التي غيرت كل المسار السردي، وكان ذلك سبيلا للوصول إلى حقيقة الرؤية، قال الله تعالى: « هذا تأويل رؤيائي من قبل قد جعلها ربي حقا » الآية 100 سورة يوسف

ومنه يرتقي الفعل "وجد" إلى مصاف الرؤية، حيث برز عنصر التلاؤم اللغوي بين الأصل والموضع فالأصل هو انتماء الفعلين "رأي" و"وجد" إلى الزمرة الفعلية نفسها.

الموضع الذي يتمثل في السياق المضمن الذي أبرز عنصر الملاءمة، من خلال تلاقح كل من الإدراك التصوري والإدراك التصديقي، ما دام الذهن قد أقام علاقات وعناصر ارتباط ذهنية بين معارف سابقة ومعرفة آتية حرّكها المقام، من خلال الدلالة الشينية "للقميص" « اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا ». يوسف 93.

وفي مفهوم الأصل والموضع، يحرك السيوطي آية السياق ليبرز الترتيب النظمي لبعض آيات النص القرآني بما ينسج صورا تداولية شديدة الفعالية والتناسب مع المقام. حيث يشكل المضمن سياق التداول من خلال التقديم والتأخير والحذف والتضمن لتلك الشجاعة في أعلى درجات التحقق، وهذا ما يوضح التصور التصديقي. فنجد عنصر التناسب و العلاقات بين الآيتين:

« إنني لأجد ريح يوسف » والآية « فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا »، فالآية الأولى كانت على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام والآية الثانية على لسان سيدنا يوسف عليه السلام.

فدلالة البشرى في لفظ "ريح" المقترنة بيوسف،⁽²⁾ دون ذكر القرينة الدالة على يوسف المتمثلة في "القميص" في الآية الأولى تبررها وتعكس الإدراك التصديقي فيها الآية الثانية من خلال لفظتي "وجه"، "القميص" حيث عكست حاسة الشم صورا إدراكية تواصلية.

¹ - ينظر دروس في السيميائيات. حنون مبارك ط=1987. دار بوتقال المغرب. ص 29.

² - ينظر المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية. جمال حضري. ط: 1 2010 بيروت ص 249

وفي هذا الإطار تجدنا نركز على الآفاق الجديدة في النظرية المعرفية، فإذا « كانت نظرية التواصل تنطلق أساسا من معرفة كيف يتم التواصل أكثر من معرفة ما يتم إيصاله... بذلك أخذت تهتم بالكيفية التي يشغل بها الذهن البشري لترتيب الأفكار والتعبير بها عن المشاعر والمعتقدات، ثم التأثير بها في الآخرين»⁽¹⁾

كما أن هذا التنسيق في ترتيب الأفكار للدلالة على الألفاظ، سواء أكانت طرق التواصل اللغوية كما أشار إلى ذلك السيوطي في تحليله لآيات القرآن الكريم « تلك حدود الله فلا تقربوها» سورة البقرة الآية 187.

وقال بعد ذلك « فلا تعتدوها» أعطى السيوطي الملائمة التداولية التي سيق لأجلها فعل اللغة، «فلا تعتدوها» سورة البقرة الآية 229. لأن الأولى وردت بعد نواهِ، فناسب النهي عن قربانها، والثانية بعد أوامر فناسب النهي عن تعديها وتجاوزها بأن يوقف عندها⁽²⁾

هذا التناسب في الآيات كما رأينا، يبرر ضرورة تسليط الضوء على العمليات المعرفية لمعالجة المعلومات، إذ لا يمكن حسب نظر سبيريير وولسون دراسة التواصل اللساني دراسة علمية دون إبراز آليات التشغيل المعرفية في الدماغ، إذا ما يتعلق بالمعطيات الداخلية مثل (الذاكرة) والخلفية والجوانب النفسية والسياقات والظروف⁽³⁾

ويتجلى هذا التناسب في الآيات ومساهمته في نجاح الإدراك التصديقي، من خلال علاقة القميص بحاسة الشم التي حققت نجاحا تواصليا، نجد علامات تواصلية غير لغوية تمثلت في عدم وجود الخروق في القميص أسهمت بدورها في إقناع سيدنا يعقوب إن الذئب لم يأكل يوسف عليه السلام.

فقد ذكر مجاهد والسدي أن إخوة يوسف عليه السلام عمدوا إلى سخلة فذبحوها ولطخوا ثوب يوسف بدمها، موهمين أن هذا قميصه وقد أصابه من

¹ - تطور التفكير اللغوي عبد السلام عشير من النمو إلى اللسانيات إلى التواصل. الرباط ط:1. 2010.

² - يُنظر معترك الأقران في إعجاز القرآن السيوطي ج 1 ت/علي محمد البجاوي- دار الفكر العربي.ص 93.

³ - la patience Sperber et wilson D(1989) communication et cognition . paris.ed de minuit p80

دمه، ولكن نسوا أن يخرقوه، فلهذا لم يرج هذا الصيغ على نبي الله يعقوب فقال الثوري عن السماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لو أكله السبع لخرق القميص، وكذا قال الشعبي والحسن وقتادة وغير واحد. (1)

فعدم وجود الخروق علامة غير لغوية تواصلية دالة على إدراك يعقوب عليه السلام للحيلة التي جنح إليها أبناءه حسدا من عند أنفسهم. إلى جانب ذلك يتجلى البعد المعرفي لدلالة "القميص" في قوله تعالى « اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه أبي يأت بصيرا» يوسف 93 .

لقد عرف يوسف أن رائحته سترد إلى أبيه بصره، ذلك مما علمه ربه. فكانت الرائحة علامة من علامات التواصل المعرفية غير اللغوية من خلال حاسة الشم « فكانت مفاجأة القميص دليل على يوسف وقرب لقيامه، ومفاجأة ارتداد البصر بعد ما ابيضت عيناه» (2)

ومنه فحاسة الشم Smell لها مستقبلات كيميائية موجودة في الظهارة الشمسية olfactory épithélium والموجودة في التجويف الأنفي.

1- يُنظر تفسير القرآن العظيم ابن كثير، ط-1/1423هـ/2002 دار ابن حزم، لبنان م 2، ص 15
2- مقدمة في علم النفس العصبي. محمد عبد الرحمان جامعة مؤتة دار الشروق، 2005. ط=1. ص

وهناك ثلاثة أنواع من الخلايا المستقبلية والخلايا الداعمة والخلايا القاعدية، وتكون المستقبلات مغطاة بطبقة مخاطية ولذلك فإن الرائحة يجب أن تمر خلال المخاط حتى تصل إلى المستقبلات. (1)

كما أن الرائحة سبيل التعرف والتواصل إذ نجد الشرطة العلمية تستعين بالكلاب لمعرفة الروائح المختلفة ومكان الجريمة وغيرها مما يؤكد أنها جهاز تواصل معرفي ناجح حقا، « حيث تحتوي الظاهرة الشمية على أهداف المستقبلات الشمية، فإنها تختلف حسب نوع الكائن الحي. وذلك من حيث المساحة فهي مثلا (2-4 سم²) عند الإنسان، و(18 سم²) عند الكلاب و (21 سم²) عند القطط. (2)

يقسم " دنكان " أنماط هذا الاتصال إلى:

- 1- حركة الجسم.
- 2- ما وراء اللغة.
- 3- البعد والقرب (المسافة الفيزيائية).
- 4- الإفرازات (وبالذات الروائح).
- 5- حساسية الجسم للمس.
- 6- الأدوات (الإكسسوارات) مثل الملابس والإصباغ و المساحيق

التجميلية الخ

كما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن تطيب المرأة لغير محارمها. حتى ولو كانت خارجة للصلاة بالمسجد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما امرأة أصابت بخورا. فلا تشهد معنا العشاء... » (3)

ومن سبل التواصل غير اللغوية في الدرس التداولي قميص يوسف أيضا، حيث نجد الخرق أو الشق قد اكتسب الإشارات الإدراكية البصرية في موضع آخر، فكانت علامة القد ومن الدبر أو القبل في القميص سبيلا إلى التواصل والإقناع الحجاجي والتصديقي. فالشق في القميص علامة تواصلية

1- ينظر مقدمة في علم النفس العصبي ص 100

2- ينظر مجلة الداعي ص 2

3- أخرجه المسلم في كتاب الصلاة 1/328.

إدراكية غير لغوية، إذ تجلى التمثل الذهني انطلاقاً من ممرات الإدراك البصرية، دون اعتماد الممرات الخاصة بالنطق (اللغة).

وهذا ما أشار إليه المفسرون، فمن آيات قميص يوسف عليه السلام. ما رواه ابن فتحويه قال أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن شاذان أخبرنا أسامة حدثني زكريا عن سماك عن الشعبي قال: « كان في قميص يوسف ثلاث آيات لما جاءوا به على أبيه فقالوا: أكله الذئب، وحين سعى نحو الباب فشقت قميصه من خلف من بين يديه، وحيث ألقى على وجهه فارتد بصيراً» (1) قال الله تعالى « وجاءوا على قميصه بدم كذب.. الآية 18.

ومنه نخلص إلى أن علمية التواصل تحتكم في كثير من الأحيان إلى العادات والتجارب فتفهم الأنساق والأفكار بالقرائن التي تدل عليها، دون التلفظ بها من جهة. كما أن الكلمات والأشياء في التداولية المعرفية ترتبط بالتجربة، والتجربة تسيرها المركبات المنطقية والنفسية والمعرفية والثقافية. كما رأينا في تحليل دلالات "الشق" في القميص، فهي براهين ناتجة عن أنساق وتجارب وثقافة معينة. ومن هنا كل معنى أو فكرة تستدع، تُدخل شبكة من المعارف والتجارب التي تشكل ما يسميه فوكوني بالمجالات المعرفية (2) وفي هذا الإطار نفسه يرى "موران" أن البرنامج المعرفي هو الذي يوجه الانتقاء والانتباه (3)

وهذا ما نلاحظه في دلالة اللون الأبيض على الحزن في قوله تعالى « وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم» يوسف 84، خلافاً للدلالة المعهودة من خلال الأنساق الثقافية عموماً، فاللون الأبيض يعبر عن تمثلات ذهنية تدرك كل ما يدل على المسرة والبشرى في القرآن الكريم في عدة مواضع، فمن معجزات موسى عليه السلام أن يده تخرج « بيضاء من غير سوء» طه 22.

وفي قوله تعالى أيضاً « وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون» 107 آل عمران. « فابيضت عيناه» دلت في سورة يوسف على غياب وظيفة الأبصار التي تحتكم إلى حدقة العين مركز الرؤية، فتبقى المساحة البيضاء التي لا ترتبط بمركز الرؤية، وهنا يتجلى البعد المعرفي في دلالة اللون الأبيض - و الله أعلم-

1- في قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس الثعلبي. القاهرة ص 117

2 -Modularité de l'esprit FODORJ.A(1986) paris.ed de minuit p 108.

3- ينظر مقدمة في علم النفس العصبي.ص 170

ومن طرق التواصل غير اللفظي مسألة التعرف على الوجوه. وهذا ما ورد في القرآن الكريم من خلال تعرف يوسف على إخوته قال تعالى « وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون » الآية 58، رغم الفارق الزمني، كما ذكرنا أنفا كانت حاسة الشم قد أدت دورها الإدراكي للمعارف من خلال موقف سيدنا يعقوب.

نجد أن حاسة الرؤية أدت دورها الإدراكي من خلال عملية الاسترجاع عند يوسف عليه السلام باستحضار وجوه إخوته رغم ما بدا عليهم من علامات التغيير والكبر.

إنالفص الخلفي له علاقة بعملية إدراك الشكل، وتمييز الأشياء والوجوه والتمييز يكون بعملية الإدراك البصري.

وفي هذا الإطار نجد عملية الاسترجاع ترتبط بطرق الاستنتاج في الدماغ، من خلال عنصر التمثلات الذهنية لأننا حينما نراقب ما في أذهاننا من مدركات مختلفة واردة إليها من العالم الخارج عنها أو حاصلة من خلال طرق الاستنتاج يكون انطلاقاً. ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

1- فقد أن تكون مجرد مفردات منبئة تقع صورتها في الذهن، قد حكم الذهن بإثبات أو نفي علاقات بينها سواء أكان الذهن مصيبا في حكمه أو مخطئا. وسواء وصل إلى درجة الجزم أو لم يصل. ويسمى هذا بالتصديقات. حيث نلاحظ أن عملية استرجاع سيدنا يوسف عليه السلام تكون في القسم الثاني لأن الأحداث تعكس صدقه فقد كان مصيبا في حكمه. (1)

برز هنا عنصر الإثبات لأن هذا التصور الذهني يحمل مشاعر الصفاء والنبوة بدليل دعاء يوسف لإخوته بالمغفرة في قوله تعالى « قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » الآية 92. في حين أنكر إخوته الموقف فتجلى عنصر النفي. لكن إذا رجعنا إلى البعد المعرفي الإدراكي لعنصر الإنكار فالتصور الذهني لصورة يوسف في ذهن إخوته كان موجودا رغم العناد والإنكار. وهذا ما توضحه الدراسات العلمية المعرفية الحديثة من خلال جهاز pet scan أو جهاز كشف الكذب كما نراه في الأفلام البوليسية الأمريكية. وهي طرق تواصلية غير لغوية.

1 -Méthodes au syntaxe Hermann 1975 4/2432 ص 18 ضوابط المعرفة.

كما أن الإنكار أيضا كما أشار إليه السكاكي في كتابه مفتاح العلوم هو ضرب من أضرب الخبر التي تستدعي استعمال لأكثر من أداة توكيد كما أشرنا، وهذا ما يؤكد وجود عنصر التمثل الذهني في حالة الإنكار أيضا. ومنه فالطرق التي تنقل المدركات إلى أذهاننا ثلاثة:

1- حواسنا الخمس الظاهرة فهي تنقل إلى أذهاننا ما نستطيع الإحساس به من صور العالم الخارجي عنا.

2- مشاعرنا الوجدانية الداخلية وهذه المشاعر تنقل إلى أذهاننا ما نحس به كاللذة والألم والحب والكراهية والحقد والحسد.

3- ما ينقل إلينا من أخبار تصف ما توصل إليه المخبرون من معارف، أو ما أردوا أن يصوروه لنا سواء أكان موافقا للواقع أو مخالفا. وهذه المدركات التي ترد إلى أذهاننا تكون بمثابة المواد الخام لأعمالنا الفكرية الاستنتاجية (1).

ومن النتائج التي نصل إليها أيضا أن التمثلات الذهنية لا يبقى دورها حكرا على التواصل غير اللغوي، بل هي سبيل إلى الحجاج والإقناع الذي قد يفوق طرق التواصل اللغوية حيث ارتقى يوسف

إلى مستوى الإدراك التصديقي رغم إنكارهم وعنادهم الذي التحق بطرق التواصل اللغوية المفننة بقولهم في قوله تعالى: « قالوا أنك لأنت يوسف » الآية 90 مثلت ضربا خبريا إنكاريا، أقاموا الحجة على أنفسهم بأنفسهم لأن المتلقي في هذا المقام "يوسف" عليه السلام لم يكن منكرا للخبر، والدليل النفي في قوله تعالى « قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ انتم جاهلون » الآية 89 وقوله تعالى أيضا على لسان يوسف عليه السلام « قال أنا يوسف وهذا

أخي » الآية 90

كما نجد التمثلات الذهنية ارتقت إلى مستوى الإدراك التصديقي أيضا مع سيدنا يعقوب، بل نجدها تفوق طرق التواصل اللغوية لأن يعقوب كان صادقا في تمثلاته الذهنية « إن الوظيفة الحسية الأساسية للقاص الخلفي هي عملية الإبصار، و إن التلف في القشرة الحسية الأولية البصرية يؤدي إلى العمى » (2)

1- يُنظر ضوابط المعرفة ص 17

2- مقدمة في علم النفس العصبي ص 170

فتجلى الحجاج بتفوق أساليب التواصل غير اللغوية على طرق تواصل اللغوية في قوله تعالى « قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون » الآية

89

عدم وجود الشقوق في القميص أو رائحة القميص رسالة غير تواصلية، بل إن شكل اللباس أيضا يؤدي رسالة حجاجية غير لغوية ولقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية الملابس باعتبارها نمطا من أنماط الاتصال غير اللفظي. في قوله تعالى « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحیما » سورة الأحزاب الآية 59.

وبذلك يكتسب الحجاب الإسلامي حجة على من تجاوز هذا الحد باعتباره ساترا لعورة المرأة من ناحية، وكونه أيضا رسالة صريحة برد الأذى عنها من قول أو فكر.

يقول مجاهد في تفسيره يتجلبن حتى أنهم حرائر لا يعرضن لهن فاسق بأذى من قول أو ريبة

من الشائع أن مفهوم الفاعل النحوي grammatical subject لا يمكن

يختصر في عبارات القائم بالفعل (agent) أو محور الحديث (topic)، فإن كان الفاعل يضطلع فعلا في أغلب الأحيان بهذه الأدوار الدلالية، لا يمكن بصفة مماثلة أن لما هي المقولة النحوية للاسم وأيا من المقولات الدلالية المتساوقة (منطقيا). ولا يتمثل عرض الإكراه النحوي إلا في السعي إلى تقليص الاختلاف بين البنية النمطية، والبنية الدلالية ولا ينتظر منه أن يحوها تماما. (1) فالوحدات اللغوية "الرائحة" "صواع الملك" "القميص" أشياء مثلت وظيفة الفاعلية، وأثرت في الحركة السردية الحجاجية وارتبطت كلها بعملية الإدراك في مراكز الدماغ. رغم أننا لم نلمس وظيفة المفعولية في البنية السطحية في مستوى الآيات.

1. « لأجد ریح يوسف »

مفعول به مضاف إليه

2. « نفقد صواع الملك »

¹ - يُنظر علم الدلالة والعرفانية . راي جاكندوف. ترجمة عبد الرزاق بنور. المركز الوطني للترجمة تونس 2010 . ص 64 - 65

مفعول به

3. « فالقوه على وجه أبي »

الهاء : مقصود به (القميص)

إلا أن الوظيفة الفاعلية تجلت في هذه الأشياء في مستوى البنية العميقة.
نتائج البحث:

- البعد الإدراكي للتمثلات الذهنية.
- علاقة سبل الاتصال اللغوية وغير اللغوية بآليات التشغيل في الدماغ.
- ارتباط عنصر التوصيل بعملية الاسترجاع العصبية، سواء كانت التمثلات مجردة أو غير مجردة من خلال طرق الاستدلال.
- إبراز كيفية إصدار الأحكام الفكرية، ويكون من خلال البعد التداولي لعنصري التصور والتصديق من خلال الإدراك والتداخل القائم بينهما، بالانتقال من دراسة المفردات المثبتة (البعد التصوري) إلى العلاقات بينها (البعد التصديقي).
- طرق الإدراك المعرفي من خلال :
 1. التعرف على الوجوه عن طريق الاسترجاع.
 2. طرق الإدراك المعرفي من خلال حاسة الشم وعلاقتها بالتواصل (نظرية فودور المعرفية).
 3. إبراز النشاط الكهربائي للدماغ من خلال عنصر الاستجابة.
 4. إبراز عنصر الملازمة التداولية من خلال الاستعمالات اللغوية والفروق اللغوية بين المفرد والجمع.
 5. علاقة الرؤية بلفظ "أجد" في السورة المدروسة من خلال العلاقة بين الأسلوب الخبري الإنكاري بتضعيف أدوات التوكيد داخل التركيب، وعلاقة ذلك كله بالبعد الذهني التقريري.
 6. تجلي المعنى التصديقي بخروج الفعل "وجد" من التعدي إلى مفعولين والاكْتفاء بالإضافة "ريح يوسف" مركب واحد، وهذا يستلزم الرؤية الحقيقية بالقوة لأن يوسف عليه السلام كان ضريرا.
 7. قوة التواصل من خلال عنصر التمثلات الذهنية في مقابل الرؤية، وكلاهما يمثل مراكز التواصل العصبية، (القرينة اللفظية) «ابيضت عينه».
 8. لا وجود لنظام مركزي واحد "فالجهاز العصبي" يتحكم في كل الأنظمة المدارية المتخصصة، فقد يكون عنصر الشم وحده يشكل نظاماً مركزياً يتحكم بدوره في الأنظمة الأخرى.

9. علاقة الإدراك التصديقي بمبدأ التناسب في الآيات بدليل عدم وجود الخروق في القميص حقت عنصر إقناعيا تواسلا يتمثل في براءة الذنب والأمر نفسه في قرينة « قَدْ من قُبْل قَدْ من دُبْر » (طرق الاستدلال، والاستنباط المعرفية).

10. علاقة الأنساق الثقافية بالتمثلات الذهنية كدلالة الألوان وعلاقتها بالتواصل.

11. الوظيفة المفعولية في البنية السطحية ارتقت إلى مصاف الوظيفة الفاعلية عند ارتباطها بعملية الإدراك في مراكز الدماغ من خلال العملية السردية الحجاجية.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1- آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل ترا عدنان حسن/ نعوم تشومسكي دار الحوار ط=1. سنة 2009.

2- تفسير القرآن العظيم بن كثير ط1 دار ابن حزم بيروت لبنان م2
2002

3- المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية. جلال حضري. ط=1.
2010. بيروت.

4- قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس الثعلبي. شركة الشمري. القاهرة. المقاييس الأسلوبية في الدراسات القرآنية. جلال حضري. ط=1.
2010. بيروت.

5- مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم وديوبنت دراسات إسلامية. العدد 4-5، 2010.

6- ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال والمناظرة. عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني. دار القلم. دمشق ط: 8. 2007.

7- في ظلال القرآن السيد قطب. دار الشروق. مصر م4

- 8- **نصوص في اللغة. مجموعة من الأساتذة. رئيس التحرير. طراد الكبيسي ط: 1. 1987.** دار الشؤون الثقافية العامة. آفاق عربية. العراق. بغداد.
- 9- **مقدمة في علم النفس العصبي. محمد عبد الرحمان الشقيرات. جامعة مؤتة. دار الشروق 2005 . ج 1.**
- 10- **معترك الأقران في إعجاز القرآن. السيوطي. تحقيق على محمد البجاوي دار الفكر العربي. ج 1.**
- 11- **تطور التفكير اللغوي من النحو إلى اللسانيات إلى التواصل. عبد السلام عشير. الرباط. ط: 1. 2010.**
- 12- **lin non the study of human communication N.Y.1973.**
- 13- **la patience sperber D.et wilson D (1989) communication et cognition paris.ed de minuit.**
- 14- **modularité de l'esprit.FODOR.J.A (1986) paris ed de minuit.**
- 15- **Methodes en Syntexe HERMAUN 1975**
- 16- **دروس فيسميانيات حنون مبارك ط 1 1987 دار برتقال.المغرب.**